



Kharazmi University



The impact of the discourse of power in the formation of the effective structure in the novels "Follow My Foot" and "The Mice" by Hamid Al-Aqabi

Alaa Fleayyih Hasan Al-Zuhairi¹, Faramarz Mirzaei^{2}, Hadi Nazari Monazam³, Kobra Roshan Fekr⁴*

Abstract:

The discourse is a group of words that define patterns of behavior, and affect community life negatively and positively. Therefore, the discourse of power penetrated all economic, political, cultural and even psychological issues, and since the novel is a narrative world that evokes what appears from the reality of society and what is hidden from it, it cannot be analyzed in isolation from the discourse Authority. The discourse of power has a distinct presence in the narrative formation in the novels of Hamid Al-Aqabi, especially in the formation of the active structure. Because it is the most influential of the system of power and its dominant discourse. The research tries to show the most important features of authority and the influence of various characters in Hamid Aqabi's novels. The issue of the study imposed on us the use of the analytical descriptive approach, in general, and the formative structural approach as a narrative approach for analyzing the fictional discourse, relying on the tools of induction,

¹ PhD student in Arabic literature and language, Tarbiat Modares University, Iran
Email: af.hasan@modares.ac.ir

² Corresponding Author, professor of Arabic language and Literature, Tarbiat Modares University, Iran, *Email: f_mirzaei@modares.ac.ir*

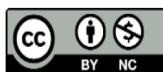
³ Associate professor of Arabic language and Literature, Tarbiat Modares University, Iran, *Email: hadi.nazari@modares.ac.ir*

⁴ Professor of Arabic language and Literature, Tarbiat Modares University, Iran, *Email: kroshan@modares.ac.ir*

Summer (2023), Vol. 4, No.9, pp. 79-104

Received: 19/6/2023

Accepted: 21/8/2023





Kharazmi University

STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179



deduction and interpretation. Two novels " Eqtafi 'athari " and " Alfiran " were chosen for their treatment of the political system of power and the dominant phenomena, according to what the characters require in order to draw conclusions and understand them. The research reached several results, the most important of which are: that power did not only affect the living conditions, but also affected behaviors and impressions, and this discourse became pervasive in the fabric of society, and the defeated characters were more effective than the characters belonging to the two novels, and Al-Aqabi tried to portray the negative impact of power. On fictional characters such as fragmentation, loss of identity, and severe psychological crises.

Keywords: the discourse of authority, the fictional character, Hamid Al-Aqabi, "Aqtafi 'Athari", " Alfiran".





فصلية دراسات في السردانية العربية

الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠

الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٢٧١٧-٠١٧٩



مقالة علمية محكمة

أثر خطاب السلطة في تشكيل البنية الفاعلية في روايتي "أقنفي أثري" و"الفران" لحميد العقابى

علاء فليح حسن الزهيري^١، فرامرز ميرزائي^٢، هادي نظري منظم^٣، كبرى روشن فكر^٤

الملخص

إنَّ الخطاب مجموعة ملفوظات تحدد أنماط السلوك، وتؤثر على الحياة المجتمعية سلباً وإيجاباً، فلذلك توغَّل خطاب السلطة في جميع الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية وحتى القضايا النفسية، وبما أنَّ الرواية عالم سردي يستحضر ما ظهر من واقع المجتمع وما خفي منه، فلا يمكن تحليلها بمعزل عن خطاب السلطة. وخطاب السلطة حضور متميز في التشكيل السردى في روايات حميد العقابى خاصة في تشكيل البنية الفاعلية؛ لأنها الأكثر تأثيراً في نظام السلطة وخطابها المهيمن. ويحاول المقال البحث عن أهم مميزات السلطة في روايات حميد العقابى، وتأثر الشخصيات الروائية المختلفة بخطاب السلطة في هذه الروايات. وقد فرضت علينا مسألة الدراسة الاستعانة بالمنهج الوصفى-التحليلي، بشكل عام، والمنهج البنوي التكويني كمنهج نقدي لتحليل الخطاب الروائي، معتمداً على أدوات الاستقراء والاستنباط والتفسير. وقد أختيرت روايتا "أقنفي أثري" و"الفران" لمعالجتهما ضمن إطار نظام السلطة السياسي والظواهر المهمة وفق ما تقتضيه الشخصيات لاستخلاص النتائج وفهمها. وقد توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها: إنَّ السلطة لم تؤثر على الأوضاع المعيشية فحسب بل أثرت على السلوكيات والأطباع وصار هذا الخطاب متفشيلاً في نسيج المجتمع، وكانت الشخصيات المنهزمة أكثر فاعلية من الشخصيات المنتمية في الروايتين، وحاول العقابى أن يصوّر ما في السلطة من تأثير سلبي على الشخصيات الروائية كالتشظي وضياع الهوية والأزمات النفسية الحادة.

الكلمات الدلّيلة: خطاب السلطة، الشخصية الروائية، حميد العقابى، أقنفي أثري، الفران.

^١ طالب الدكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، إيران، البريد الإلكتروني: af.hasan@modares.ac.ir

^٢ الكاتب المسؤول، أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تربيت مدرس، إيران،

البريد الإلكتروني: f_mirzaei@modares.ac.ir

^٣ أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تربيت مدرس، إيران، البريد الإلكتروني: hadi.nazari@modares.ac.ir

^٤ أستاذة في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تربيت مدرس، إيران، البريد الإلكتروني: kroshan@modares.ac.ir

الناشر: © جامعة الخوارزمي والجمعية الايرانية للغة العربية و آدابها.

حقوق التأليف والنشر © المؤلفون



١. المقدمة

١.١ إشكالية البحث

إنّ دراسة خطاب السلطة في العمل السردى يسلط الضوء على تأثيرات الهياكل الاجتماعية والسياسية السائدة، وتأثيره على التشكيل السردى في موضوعاته الرئيسة وفي بنيتها العامة، فضلاً على كيفية تشكيل الشخصيات الروائية والعلاقات بينها. فروايات حميد العقابى، كأى عمل أدبى آخر، تأثر بخطاب السلطة وما فيه من العنف والتهميش في استحضار البنى الروائية. فقد أفصح الخطاب عن السياسات المتبعة في إدارة البلد، إذ يفرض عليهم التطبيق والانصياع لكل ما يطلب منهم باسم القائد، كل تلك الأحداث تركت ظلالها في النفوس لترسخها ذاكرة الروائى، أراد منها أن تكون وثيقة صادقة تتحدث عن التاريخ الملىء بالظلم والقتل والعنصرية والحرب. وبيّن العقابى عبر خطابه السلطوى في روايته "أقتنى أثري" و"الفران" تهميش المجتمع وسلط الضوء على مجموعة من التحولات السلطوية منها ضرب الآخر المخالف في الفكر وتعذيبه من أجل الحفاظ على هيبة الأنا الذي يتمتع بمرجعيات دينية وسياسية واقتصادية، ليصبح رمزاً يبيح لها ممارسة سلطتها الفعلية وقمع بقية المجتمع لجعل الشعب يعاني من الفاقة والعوز، والبحث عن لقمة العيش فضلاً على وسائل التعذيب والقتل والسجون، هذه الثيمات وغيرها لم تأت من فراغ بل لها مرجعيات ثقافية.

وكان حميد العقابى (١٩٥٦-٢٠١٧م) من الروائيين العراقيين الذين شُردوا وعاشوا محنة الغربة وأحدثوا ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية والاجتماعية بسبب جرأته العالية في معالجة القضايا الساخنة في رواياته. هرب من العراق، وتعرض للأسر في إيران، ثم هاجر إلى سوريا وأخيراً استقر في الدنمارك حتى توفى فيها، وله ما يقارب عشرين عملاً إبداعياً في الرواية والقصة القصيرة والشعر (لطيف، ٢٠١٩م: ٤٥).

انعكست تجربته المرة في أعماله الروائية، ففي رواية "أقتنى أثري" عالج الراوى قضية الشذوذ الجنسى المتمثل في شخصية «ماريانا» التي تدور أحداث الرواية حولها ويقدمها (الراوى المشارك) الذي يسرد الأحداث بضمير المتكلم، فيقع على عاتقه مهمة تقديم الشخصيات، وسرد الأحداث. لعبت ماريانا الشخصية الرئيسة دوراً كبيراً في مجرى السرد وأحداث الرواية، وصورها الراوى من زاوية الموقف الذي هم فيه، مع مجموعة من العائدين الذين قرروا العودة إلى العراق عن طريق الصحراء، وقد طغت الأفعال الماضية على النص مثل (شعرت، التفثت، وجدت...) لتدلّ على الحركة، وتتعلق بالحواس كلها انطلاقاً من الشعور وتحريك الجسم وحركة اليد لتقدم لنا مشهداً يرى ويسمع ويلامس الإحساس (العقابى، ٢٠٠٩م، ٤ - ١٠٩). وأما "رواية الفران" فتدور أحداثها حول مجموعة من الناس الذين أجبروا على العيش تحت الأرض، ربما هي حياة ثانية تفرض على كل من سوّلت له نفسه الاعتراض على الواقع المأساوي ورفض سياسة الحكم السائدة، وهي أحداث ارتبطت بمدّة وصول «القائد الضرورة» إلى دفة الحكم، بعد الانقلاب السياسى الذي نجح فيه مع مجموعة قليلة من أنصاره ومؤيديه، فلم يكتفوا باعتقالهم بل أجبروهم على العيش بالطريقة التي يرونها مناسبة، (العقابى، ٢٠١٣م، ٩ - ١٠٤؛ ٣). فالغاية من وجودهم ليس كونهم مجرمين أو قاموا بمخالفة القانون بل ليكونوا فرنان تجري عليهم تجارب

معرفة مدى قدرتهم وطاقتهم القصوى على تحمّل الذلّ والمهانة، وقد يخلّى سبيل من يستجيب أو يسري عليه مفعول التجربة، وينجح في الاختبار، فهو تطبيق المشروع المتمثّل بمسخ الإنسان وجعله كالحوانات لا يعرف غير الطاعة والانصياع.

٢.١ الدراسات السابقة

تطرقت دراسات كثيرة إلى محاور البحث الرئيسة فمن أهمها:

- مقال بعنوان: الضلع "رواية تصير مسافة بين الوطن والمنفى" لنجاة فواز (٢٠١٢م): جاءت هذه الدراسة على نمط القراءة العميقة لرواية الضلع لحميد العقابي، تبين فيه الضياع وعدم الاستقرار الذي كان يعيشه البطل بعيداً عن وطنه، وبين المكان الذي يعيش فيه ولا يستطيع التكيف معه ولا العوده إلى بلده، كما تصور الدراسة عبر هذه الرواية الطويلة والشيقة حالة انتحار البطل عاشور وغيره في أرض المنفى؛ نتيجة لما عانوه من الوحدة والحزن متذكّرين كل يوم ما تركوا وراء ظهورهم عبر الذكراة (الصندوق الاسود) وإيقاظه من النوم كل ليلة وهو بيد أحضان السلطة.

- مقالة أخرى بعنوان: الضلع رواية التأويل وأصل المتغيرات والمتضادات، كريم ناصر (٢٠١٨م)، موقع الناقد العربي: حاولت الدراسة أن تبين بعض الشخصيات عبر ثيمات مستحدثة، ويؤكد أنه لا يمكن معرفة الصور بدون قراءة تامة للرواية، ولا يمكن معرفة شخصيات الرواية بدون فهم الثيمة، وقد تطرّق الكاتب الضمني في الرواية والأساليب السردية المستخدمة واللغة الدرامية والصور الدلالية وقام بتحليلها بالتفصيل، وما يختلف عن دراستنا بأنّ بحثنا يشير إلى دور السلطة في الفكر السياسي والأدبي ومواطن الخلاف بين هذا وذاك.

- كتاب صدر مؤخراً بعنوان: وشم النورس، حياة مستعادة لحميد العقابي، قراءات - شهادات - مواقف - مجموعة شعرية جديدة، إعداد مازن عبد اللطيف، (عام ٢٠١٩م). ويضمن الكتاب مجموعة من المقالات حول أسلوب حميد العقابي في الكتابة مشيراً إلى أسلوبه العجائبي المتأثر بالمدسة السريالية التي تمزج الواقع بالخيال الروائي الخصب، ومحدداً أساليب العقابي في تصوير الحروب والخيبات.

- مقالة لسلام إبراهيم بعنوان "أصغي إلى رمادي"، الذات حينما تدمرها الطفولة والحرب" (٢٠١٩م) قراءات في عالم الكتب والمطبوعات. تتحدث الدراسة عن تجربة حياة حميد العقابي الطويلة المليئة بالألم والعذاب، والتي سجل فيها كتابته السردية بمجموعة من القصص والروايات، كونه شهد تلك الأحداث وعاش تجربتها جعل الكاتب جزءاً من (سيرة حياته) في فصول روايته وفصول أخرى وضع فيها شخصيات لها تجاربها الحياتية ومدلولاتها الرمزية، قسم فيها النص إلى اثني عشر فصلاً، وجعل لكل فصل ثيمته الواضحة التي تدور أحداث الرواية حولها، تميزه بلغته السردية البسيطة والواضحة التي تجذب القارئ وقد اختارها بحبرة عالية ودراية تامة.

-مقالة أخرى تحمل عنوان " الواقع والخيال في رواية (القلادة)" صالح الرزوق(٢٠١٩)، فتناول رواية القلادة

التاريخية التي لامست سيرة النبي (ص) بعدة مفاصل وعلاقاته بالتجارة ومصادره المعرفية. وأخذ الكاتب على هذه الرواية مأخذ منها ابتعادها عن الواقع التاريخي، لأنها لم تستند إلى الوثائق التاريخية.

- ثم بحث آخر لحسين اسكاف (٢٠١٩م) بعنوان «حميد العقابي.. حين يؤرخ لجيل الخييات والحروب» استنتج بأن حميد العقابي أراد القول بأنّ الجيل الذي ينتمي إليه لاجتماعه له بالزمن، ويصور حالة العراقي الذي وجد نفسه وجهاً لوجه أمام أتون الحرب، ليتيقن أنه أصبح مشروع موت مبكر، فصار يبحث عن سبب مقنع يبرر موته، وتتناول كل الثيمات المتعلقة بالحرب، كما تؤكد الدراسة على الحرمان والكبت الجنسي الذي كان يعيشه هذا الجيل، فضلاً عن كبت للأحلام والأمنيات، والسوء الذي كانت تعانيه الشخصية، فإنها طوال الرواية تفكر إما بالجنس أو بالموت.

- وبحث آخر لهاشم مطر (٢٠١٩م) بعنوان «القلادة حدائث النص بين الإسقاط والتناوّل» فتناول رواية القلادة المثيرة للجدل بإسهاب، واستنتج أنّ نص العقابي جريء فتح أفقاً لتناول التاريخ من باب أوسع مما يتوقع بسبب التابوات وسلطة المقدس.

- مقالة بعنوان "مستويات الأداء اللغوي في رواية الضلع لحميد العقابي، سالم جمعة كاظم (٢٠١٨م). جامعة القادسية، للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، وقد تطرّق الباحث إلى عدة مباحث متعلّقة بلغة رواية "الضلع" خاصة فيما يتعلّق بلغة السرد والإيهام بالضمائر، كما سلط الضوء على لغة الاغتراب والأزمة النفسية، ولغة الجنس، وفي النهاية تطرّق الباحث إلى لغة الشعر والتاريخ والأسطورة، وختمها باللغة الشعبية التي تخلّلت الرواية.

وقد كثرت البحوث المنشورة حول الرواية العراقية ومنها بحث لكريمة نوما محمد المدني بعنوان "دراسة أسلوبية لعناصر السرد والعنف في الرواية العراقية المعاصرة؛ رواية خان الشاندر لمحمد حيوي اختياراً" وتطرقت الباحثة إلى كيفية دراسة الخصائص الأسلوبية في النص السردية الروائي العراقي، واستنتجت أن الرواية العراقية امتازت بكثرة حضور نسقي الاستفهام والأمر. وبحث آخر لطيبة أميريان و زملاؤها بعنوان "المستويات المؤثرة لألف ليلة وليلة في "سلاف بغداد" لمحسن جاسم الموسوي" وأشارت الباحثة إلى سعي الروائي العراقي المعاصر إلى تعزيز فعّاليته الروائية مثلها مما تتمتع به حكايات ألف ليلة وليلة، كنصّ مصدرٍ، بتشحيذ ملكته الأدبية وذهنه للحلق.

يتبن لنا مما ذكرناه من دراسات سابقة بأنّ موضوع تأثير خطاب السلطة في تشكيل البنية الفاعلية لروايات حميد العقابي لم يعالج بعد، فهذا البحث يحاول إلقاء الضوء على تأثير السلطة في تشكيل البنية الفاعلية في روايتي (أقتني أثري و الفئران) لما فيهما من الاهتمام الأكثر بخطاب السلطة في تكوين المكونات السردية فيهما، ولما في خطاب السلطة من أهمية في الدراسات السردية الحديثة.

٣.١ تساؤلات الدراسة والمنهج

إنّ دراسة خطاب السلطة في التشكيل السردية تثير تساؤلات كثيرة، من أهمها:

- ما أهم تأثير خطاب السلطة على تشكيل الشخصية السردية في روايتي "أقتني أثري" و"الفنران" لحמיד العقابى؟
- ما أهم مميزات الصورة السردية لخطاب السلطة في هاتين الروائتين؟

إن تحليل خطاب السلطة في الروائتين يبرز ملامحه المتمثلة في قمع الحريات وتقييد الآراء المنتجة وتحجيم دور السلطات الأخرى، مما أدى بالكاتب إلى إدراج شخصيات رواياته داخل الشخصيات المكبوتة اجتماعياً وعاطفياً، فسلكها ومستويات تفكيرها وردود أفعالها تدل على مسحها كالمقطع، الذي لا يعرف غير الطاعة والانصياع لأوامر الراعي. فرضت مسألة الدراسة الاستعانة بالمنهج الوصفي-التحليلي، بشكل عام، والمنهج البنوي التكويني كمنهج سردي لتحليل الخطاب الروائي، معتمداً على أدوات الاستقراء والاستنباط والتفسير. وقد أختيرت روايتنا "أقتني أثري" و"الفنران" كعيني البحث للدراسة لأنهما من أكثر روايات العقابى اهتماماً بالسلطة السياسية وآثارها على المجتمع العراقي، ولعلاجهما ضمن نظام السلطة السياسي والظواهر المهيمنة وفق ما تقتضيه الشخصيات لاستخلاص النتائج وفهمها.

٢. التشكيل السردى

اهتم نقاد الرواية بمفهوم مصطلح "التشكيل السردى" وإجراءاته أهمية بالغة لما له «التشكيل على الصعيد الاصطلاحي والمفهومي من قوة حضور وإغراء دفعت الكثير منهم إلى استعماله والاشتغال على آفاقه» (عبيد، ٢٠١١م، ٥)، فلا يمكن قصر هذا المصطلح على آفاق محدودة ومصطلح «التشكيل» الموصوف سردياً بـ«التشكيل السردى» لا يتعد كثيراً في الإطار العام عن الحدود المفهومية النظرية لمصطلحات موازية مثل «التشكيل الشعري» و«التشكيل الدرامى» وغيرهما، وقد أخذت الرواية - النوع السردى الأكثر استظهاراً واستيعاباً وتمثلاً للحراك الاصطلاحي في الأنموذج السردى - الحصة الأوفر في المهيمنة على المصطلح وجره إلى ميدانها وفنائها ومنطقة عملها، "إذ إنّ الرواية في حدود تشكيلها السردى الجمالى ملزمة - تشكيمياً وتعبيرياً وثقافياً- بكل هذا من أجل الوصول إلى حالة إشراق تخيلىه تتوافر على طاقة تعبيرية صادقة للتمثيل والتصوير والتدليل" (نفس المصدر، ٢٢) فلمفهوم التشكيل السردى شمولية تمثل لكل البنى السردية كالفاعلية والحداثيّة والمكانية والزمنية والوصفية والحوارية من خلال الطبيعة الفنية السردية لتتكشف فيها جماليات التشكيل القصصى بصورة أكثر التماماً ودقة. يعدّ السرد علامة فارقة في أي نص أدبي، فهو عامل " في بلورة أطر بنائية متميزة، فالتشكيل السردى بمفهومه الاصطلاحي يعود لفهم الرسم، واللوحات التشكيلية، وهو يساوي مفهوم التشكيل السردى في الرواية بمكوناتها التي اهتم النقاد بتبيينها.

٣. خطاب السلطة والتشكيل السردى

أثار الخطاب معترفاً احتدم فيه اللسانيون والسلوكيون وحتى الوجوديون، الأمر الذي جعل مفهوم الخطاب مفهوماً قصي الرصد عصي الضبط (الكندى، ٢٠٢٠م) وعلي الباحث أن يضع المقومات الأساسية للخطاب نصب عينه، والسلطة أهم

مقوم أساسي للخطاب لأن «الخطاب هو الأداة التي بها ومن أجلها يقع الصراع انه السلطة التي نسعي للاستحواذ عليها، (فوكو، ٢٠٠٧ م: ٧) فإذا عرفنا دراسة الخطاب النقدي بأنها حركة علمية مهمة على وجه التحديد بتكوين نظرية والتحليل النقدي للخطاب الذي يعيد انتاجه سوء توظيف السلطة وعدم المساواة الاجتماعية فالمهمة المركزية لدراسة الخطاب النقدي تكمن في دراستها التفصيلية لمفهوم السلطة، وكما هو الحال بالنسبة إلى كثير من المفاهيم الأساسية في العلوم الاجتماعية، فإن مفهوم السلطة يعد مفهوماً معقداً وغامضاً وليس من المفاجئ أن نجد عدداً كبيراً من الكتب والمقالات التي كرست لتحليل هذا المفهوم المركزي في عدد من الميادين والتخصصات المعرفية (العديد، ١٩٩٨ م: ٤٢). ويرتبط خطاب السلطة باللغة الروائية؛ لأنّ الراوي يستخدم تقلبات اللغة ما بين التصريح تارة والتلميح والرمزية المتعمّقة تارة أخرى؛ لأنّ اللغة لا تتركز ولا يمكن تحديد مركزها «لأنّها تتألف من علاقة رمزية خاصة، هي علاقة اعتبارية فيزيولوجية، بين جميع العناصر الممكنة للوعي من ناحية و عناصر منتخبة معينة في الأجهزة السمعية والحركية والمخية والعصبية الأخرى من ناحية ثانية بأن تكون اللغة نظاماً وظيفياً تام التكوين في التركيب النفسي أو الروحي للإنسان لذلك فإنّ دراسة اللغة هي دراسة وظائفها وأشكالها الخاصة بالأنظمة الاعتبارية للرمزية التي نسميها لغات (الزواوي، ٢٠٠٥ م: ٢١٧)، فاللغة، كما عرفه هنري سويت، هي التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات ونظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية (سعران، ١٩٦٣ م: ١١، نقلاً عن هنري سويت). فعلى الرغم من وجود مفاهيم كثيرة للسلطة، يعرف مفهومها وفق مفهوم السيطرة وهذا يعني مجموعة واحدة على مجموعة أخرى وعلى الأفراد التي تتكون منها هذه المجموعة، فالناس في المجموعة المسيطرة عليها، يفقدون حرية التعبير وحرية الكلام أو الكتابة، ليس للمرء حرية اختيار الوقت والمكان والموضوع، والجمهور أين ومتى ومع ومن وعن ماذا يكتب أو يتكلم، فهم مسلوبوا الحرية جزئياً أو كلياً، بسبب سلطة الآخرين وسطوتهم كالدولة والشرطة ووسائل الإعلام التي ترغب بقمع حرية الكتابة والحديث، حيث كان المرء يكتب ما يأمر به فقط.

٤. الواقع السلطوي وبناء الشخصيات في روايتي أقتني أثري والفرنان

٤.١ الواقع السلطوي

اهتم الراوي في روايتي (أقتني أثري و الفرنان) برصد الواقع العراقي بكل ما يحمله من آلام في ظل النظام الدكتاتوري، مروراً بالحرب العراقية الإيرانية وانتهاءً بالاحتلال الأمريكي وحصلته، فحاء تصويره للواقع بكل ما يحمله من عيوب من دون أقنعة.

فرواية (الفرنان) تطرح إشكالية السلطة في فترة الأزمة الوطنية الشاملة، وبرع الراوي في تبين خطاب السلطة الشاملة وأثره على بنية المجتمع الواقع تحت نظام لا يعرف غير القتل والحرب والدخول في أزمنة متخذاً من أجهزته القمعية، ومصادرة الحريات، ومن خطابات سلطوية وبعض الشعارات ك(الكومية، والعروبة، والدفاع عن الأرض والعرض...) ستاراً

تتخفى خلفه؛ وتمارس من خلاله تهميش المجتمع، لتصبح واقعاً للناس يعيشونه رغماً عنهم دون أي مقاومة ويصوّروهم مثل الفئران تحت الأرض، ممسوخين من كل القيم والكرامة والشرف:

«تغيرت أخلاق الناس وسلوكهم.... واختفت شنائم كثيرة كانت متداولة كديوث، منيوك، قواد، قحبة..... لتحل محلها صفة (رجعي) كشتيمة لا يغسل عارها إلا بالدم. حدث هذا الانقلاب المفاجئ في طباع الناس بفضل فكر القائد الملمه الذي كان يتدخل في أمور الرعية اليومية صغيرها وكبيرها.... (العقابي، ٢٠١٣: ٨). فتدخل السلطة في كل أمور الناس من شربهم، وأكلهم، وملبسهم وطريقة كلامهم ومناهج التعليم والدراسات العليا، وخطب الجمعة وفي جدران المدينة وأبواب البيوت «وليس في الأمر مبالغة لقد خُطت مقاطع منه على دورات المياه العامة وهي المقاطع التي تتناول تأريخ تطور المراحيض» (نفس المصدر: ٩) فمقاليد السلطة الكاملة في يد السيد الرئيس (صدام حسين) الذي ينوي استيراد «رجال وسيمين من البلدان الإسلامية لتحسين النسل» (نفس المصدر) فهذه الصورة السردية لخطاب السلطة الشاملة في رواية الفئران إن دلّت على شيء فإنما تدل على واقع السلطة التي تحسب الشعب قطعان الماشية تملكها ليحري فيها تحسين كفاءة التناسل عبر الانتقاء الجيني!

تستهلّ رواية الفئران بوصف من الراوي ليظهر مدي الانكسار النفسي قائلاً: «الوجود هنا تتغير باستمرار تأتي نضرة، لكن سرعان ماتتغير شيئاً فشيئاً، تذبذب أو تزداد نضارة وتغادر المكان. شباب جاؤوا ممتلئين بالعنفوان والطموحات، لكنهم غادروا المكان منكسرين تلوح على وجوههم الحيبة أو العبث وآخرون أكملوا الدورة» (نفس المصدر: ٥). سرعان ماتتكون الفكرة في رأس القارئ عن الضياع النفسي والفردية ومتابعاً لهذا الوصف، تشهد الدراسة تغييرات لم تكن شكلية، إنما بوضوح هي تغييرات ومنقلبات تأتي باطنية وذاتية متأثرة مباشرة بمكان منزول وضيق، يجيء ويروح به شخص من شباب متأملين كما ذكر الراوي، بكرامة وعزة وصلابة لكن يواجههم انكسار وعيشة الذبول في قاع المكان الذي وُصف بالجحيم. وفي كل حدث ثمة زمن يحكي عن صراع وفي الحقيقة، "لأنص دون زمن". (الطعان، ١٩٩٤م: ٤٤٥).

وفي بدايات رواية "أقنفي أثري" يشير الراوي إلى حجم الخوف المسيطر، قائلاً: "لم يتجرأ أحدنا على البوح وحتى التلميح بهذا الخوف كأننا متواطئون على الصمت" (العقابي، ٢٠٠٩م، ٨). ما هذا الخوف المجهول المترسخ في القلوب، قلوب الغرباء المتشردين في بلاد يحيط به الأمان؟ هو الخوف من شيء غامض الذي يجبر الإنسان على الصمت. تُصرح لنا هذه المقولات بأن الخوف يتولد من اشتباكات الإنسان والسلطة التي تقود مجتمعها بقوة سلطوية وتستخدم وسائل الخطاب في ترميز أهدافها ومصالحها وإثبات وجودها وإنعدام مخالفيها حتى تجعلهم يفرون ويتركون كل شيء ويتجهون إلى المنفى. يصف السارد عودة البطل مع رفاقه من البلدان الغربية التي أصبحت في هذه اللحظة يزدهر جمالها بعيونهم ورفاقها يبدو صعباً جداً قائلاً: "حيث كنت أشعر بحميمة وحب لكل حجرة مرتت به على هذه الأرض الشاسعة حتى المقابر بدت لي ودیعة والسجون رحیمة" (نفس المصدر، ٨). انّ هذه المفارقات قياساً بالتصوير الذهني للفرد الذي بات يتمنى السجون والمقابر وأمست الحالة مؤلمة له في موطنه لهذا رغم كل اشتياقه للعودة تراءى له هذه الذكريات المريرة، فيجد نفسه مشيب

الرأس راقصاً مع امرأة فاتنة وسامعاً لموسيقى عذبة. ثم يصرح الراوي بأن في موطنه يشعر بالغرابة وأشكال من الحرمان وكبت الموموم، قائلاً: "أخرج للشارع كل يوم بوجهٍ جديد، مرة بلحية كثة وهيئة رثة، ومرة أخرج أنيقاً، لكنني وكلما مررت في طريق يعرفني المقيم وابن السبيل، فغريتي دليلٌ وعلامة فارقة، وليس من قناع يصلح لي" (نفس المصدر، ٩). ثم الضياع النفسي الذي يتغير من شكل إلى آخر وهو بتغيير القناعات، لكن يعترف بأن لا يصلح كل منها وأما هي الهوية الجذرية التي لا بد أن يتفقدتها الشخص الذي حمل كل هذه الغربة وآلامها على عاتقه، ويرجعها إلى مكانها.

كما أن المفردات الهادفة تبعث مشاعر الراوي بدقة حول ضياع عمره بالوحدة ودون أن يذوق طعم الحب وحتى لذة الجماع، فتبقى ثمة حسرات ومازالت المذكرات تهمسُ ذاكرته، كما يقول: «صباحاً أول ما تستيقظ الآمي وشبق منتعظ، أتلمس جسدي عضواً عضواً.. ها أنا أحيا ثانية، وكما أتفحص أعضائي، أتفحص ذاكرتي وأهشُّ على ذباب الأوهام بكتاب العمر» (نفس المصدر). والشعور بالضياع والموت كنتيجة محتومة للسلطة دون بصيص أمل، وتحت تأثير ضغوطات الحكومة، والقافلة التي ترجع إلى الوطن فقدت آدميتها وهي تضم «رجالاً وبضع نساء امتصت الغربة شباهن فلم يبق منهن سوي ذكري أنوثة، نساء وحيدات، عوانس، مطلقات، أرامل، ركاما، هشيماء... فلم يبق من دليل على آدميتها سوي الحزن اللامع في العيون» (نفس المصدر: ١٠). قد حاصرت السلطة الإنسان من كل جهة حتى الحانات: "وفي العودة كانت حانة (مفترق الطرق) أول قلاع الغربة وآخرها للعائد ولنا فيها ذكريات لاتنسى، ربما التقينا بنادلة الحانة واغترفنا من حكمتها قبسا ينير طريق عودتنا" (نفس المصدر) ربما يقصد من مفترق الطرق هي تغيير سياسات الحكومات والسلطات حيث في السلطة الدينية تمنع الحانات وقمع اللذات الذي تكون حلم للإنسان وجعل النادلة حكيمة، وكأنهم يعرفون جيداً لا يمكن الوصول للحانة أي يقصد الوصول للأحلام مكان يسمع بالموسيقى برحاء مكاناً بعيداً عن الخوف والمهرج والتراقب لا يوجد سجون ولا يوجد سلطة تجبرك على أن تنفذ الأوامر، ربما كل انسان يريد الوصول لهذه الحانة بل اللجوء إليها... كأنه شم رائحة من ديار الحرب التي تركت بهم خلسة وحشية: "كل شيء تغير" (نفس المصدر: ١١).

يأتي الحديث عن التغيير والأمل بتغيير الإنسان مادام يعاني من القضايا السياسية ويعيش تحت إطار سلطة سياسية لا يبقى إلا الأمل، الأمل بالتغيير فهذا يُعلم القارئ بأن الشعب العراقي واعٍ ويطمح للتغيير مثلما يقول: "إنها فكرة تجسدت كالحقيقة في أذهان الراحلين" (نفس المصدر: ١٤). كل ما بحث العائدون عن حانة يطوفونها لا يجدوا مكاناً بل كل الآمال باتت كسراب هباءً منبثاً إنما تدل على سيادة السلطات وقدراتها قد خُيبت على الأذهان ولا مفر منه ولا حيلة بيد المواطنين للتخلص من أيديهم كما يقول: وما شأننا بحانة (مفترق الطرق) وما شأن نادلتها؟ (نفس المصدر: ١٤) وقد استخدم الراوي هذا التعبير (مفترق الطرق) لتشتت الشعب العراقي بواسطة السلطات المختلفة الدينية والسياسية التي تجعل من الناس فرق بأفكار متباينة مع الآخرين كي تمنع وحدتهم وتتخذ كل الوسائل لتثبيت سيادتها على الشعب. ويبين لنا الراوي التفرقة والشتات بواسطة حانة "مفترق الطرق" حيث «هب آخر جافلا بعد أن سمع كلمة (حانة) وراح يلعن صحبته لنا مردداً: استغفرالله... استغفرالله» (نفس المصدر: ١٤) الشخصية المتقيّدة بالدين تحالف الحانة ونادلتها وهذا قد

يؤدي إلى الإنشقاق والعداوة بين العائدين، كما نرى في واقع المجتمع العراقي ظاهرة بارزة من هذا التبعض والظلم بحق الأقليات الدينية وطردهم من الأوطان لمصالح الشؤون السياسية.

والصمت، خوفاً من عقاب السلطة، يسود على مواقف الشخصيات: "ساد صمت على الوجوه التي غارت نظراتها كأنها تفتش خاتم ضائع في الرمال" (نفس المصدر: ١١)، فيتكرر الصمت هنا وفي باقي الروايات يمزجها بخلسة مجهولة نحو: "قطعنا الطريق إلى الحانة بصمت كأننا سائرون في حقل ألغام" (نفس المصدر: ١١). ثم الغربة التي فرضتها السلطة الغاشمة فتشير الرواية إليها مراراً: "قضينا دهرًا في الغربة ألا تصبر ليلة واحدة" (نفس المصدر: ١٥)، كلمة الدهر كبيرة جداً واستخدامها يهدف إلى معنى أعمق من مجرد كلمة، و هو يريد القول بأن العراق منذ زمن طويل تعاني من الاضطرابات والانشقاقات الفكرية التي لم يكن للمواطن شأن بها، بل كان ضحيتها.

إنّ الصمت خوفاً من السلطة وهذه الغربة التي يعاني منها المواطن العراقي، سببها حصار عسكري أحكمه جيش من الذئاب: "العيون تترقب أكثر وحينما انعكس ضوء اللهب عليها تبدت لنا جيشاً من الذئاب التي أحكمت حصارها علينا" (نفس المصدر: ١٦)، مشهد واضح من السلطة التي شبهها بالذئاب ليلاً وتترقب بأعينها على الناس كي تسلط وبلغه عامة تنصب كل مكان مثل الشخصيات التي تتحكم على الجميع: ويقول "أحكمت حصارها علينا" الحصار هو تعبير عن ايدولوجية عسكرية حيث لا يتجرأ أحد أن ينسب بينت شفة أمام هذه السلطات. فحرمان المواطن من أنواع الحرية كحرية الكلام، حرية النقد، حرية المعارضة وحتى حرية إصلاح البلد، من نتائج هذا النوع من النظام الديكتاتوري الذي لا يملك المواطنون فيه أي قوة للدفاع عن أنفسهم أو الوقوف أمامها. فيعترف الرواي بأنهم لا يملكون شيئاً «لانملك حولاً ولا قوة على ردها» (نفس المصدر: ١٥) لأن الخوف يجتاح الصحراء... أي يجتاح الوطن وقلوب المواطنين والصمت يسود حيث: "كل منا يسمع دقات قلب الآخر وقرقرة أمعائه، بل كل منا يعرف ما يدور بذهن الآخر" (نفس المصدر: ١٨).

إنّ فنّ الرواية، حسب ما صرح به باختين، ظاهرة متعددة الأساليب، ومتعددة اللغات، ومتعددة الأصوات (باختين، ١٩٨١م: ٨٥) فهذا ما نجد في رواية "الفران"، ولكن الأصوات كلها متأثرة بالسلطة وتختفي تحت الأفتعة واللافت للنظر بأن الراوي يعبر عن ذلك بكلمة "الوجوه" والقصد من الوجوه هي الوجوه المتغيرة، والوجوه صاحبة الأفتعة، لأن من طبيعة الإنسان أنه يريد الخير للآخرين، لكن هناك وجوه قد تتغير وأكثر ما ركز الراوي عليها ولاشك أنه فكر ملياً ليستعمل مفردة ذات دلالة كبيرة في بداية روايته وهي مفردة "الوجوه"، هو يبدأ كذلك بوجوه وشخوص فرعية، غير معروفة، والقصد أنّ الضحايا في الزنانات والسجون لا أحد يعرفها، ولا يعرف ما في ذواتها، فهي وجوه بلا وجوه واضحة، اختلفت الأيدولوجية الدينية والعسكرية في رواية الفران، رغم ذلك العدا والتناقض بين الأيدولوجيتين الدينية والعسكرية، في التوجه الأيدولوجي فإنهما قد اشتركتا في الرؤية التنافرية والضدية للسلطة كجهاز مسلط وفساد، واستغل السلطة والنفوذ لقمع الحريات وتحقيق الغايات لتقلب مفهوم الدولة إلى مفهوم السلطة.

فالسلطة حصار عسكري يلازم الشخصية الروائية رغم كونها تعيش خارج الوطن. ففي رواية أفتفي أثري، تتغير

الشخصية الروائية عندما تتغير المبادئ إثر تغيير البيئة والمجتمع الذي بات مغايراً مع الذي تعودته الشخصية منذ فتح عينها، ولكنه تحس بهذا الحصار: بعد مرور أقل من شهر على خروجي من الوطن بحت لصاحبي بأمر الكابوس الذي يلازمي كل ليلة وأراني عائداً إلى الوطن و في الطريق إلى بيتنا أقع في حصار السلطة. رجلاً طُمست معالم وجهه يوقفني في منعطف الشارع أو في الساحة، يطلب مني هويتي" (العقاي، ٢٠٠٩: ١٧). من الضروري أن لكل إنسان على أي بقعة من الأرض يجب عليه أن يكشف هويته المنفردة والخاصة به وبموطنه، ولا بد أن يعتز بها وينقلها من جيل إلى جيل آخر وأن يصبر على بقاءها ووجودها لأنها الشيء الوحيد المتميز الذي يعرف الفرد بما عند مواجهة الآخرين والهوية التي لدي الشخصيات هي ما صنعتها السلطات بيدها ولادور للإنسان في خلقها وإثباتها. فأحكمت هذا الحصار السلطوي، ذئاب وديعة ينفر مجرد الشعور بما الهدوء من الأنفس: « فكيف لنا أن نثق بذئاب جُبلت على الافتراس وإن بدت وديعة(نفس المصدر: ١٧). فيبدأ الحوار بين الرفاق حول كابوس الذئاب الوديعة:

« ما أجمل السلام، حتى الذئاب غدت وديعة؟»

... نمره شيخٌ ذو لحية بيضاء غطت عنقه كان صامتا طوال طريق الرحلة:

عن أي سلام تتحدث؟ هذي ذئاب، ألا تعرف ماذا يعني ذئاب؟

"ربما جاءت لحمايتنا". قال ثان بطريقة اختلط فيها الجدل بالسخرية

ارتفعت أصوات الرفاق بالنقاش حتى ارتفع صوت من بين كتلة الرفاق المتراصة مع بعضها:

ما الحل اذن ؟

فصاح صمت ...» (نفس المصدر: ١٨-١٩)

ربما هذا السؤال: "وما الحل إذن؟"، سؤال كل فرد يعيش في تلك الأرض السوداء ويبحث على حلٍ أساسي وكل ما يطرح رأيه لكن هذا يختلف عن الآخرين؛ حيث يطلق صوته ويريد حل للوضع الموجود. ربما هذا الصوت للإنسان الحر الذي لا يطيق الحصار ويبحث عن حرية .. "فحين لاح أول خيط أبيض في السماء، نهضت الذئاب بتناقل، تمطت محركاً أذناهما ثم رفعت أبواهما نحو السماء وأطلقت عزفاً جماعياً فتسمرنا في المكان مبجلقين إليها بتحضر ودهشة ومع نزول عصا المايسترو غير المرئية، توقفت الذئاب، أدارت لنا ظهورها وتجمعت بكردوس منتظم، ثم انطلقت مخلقة وراءها غباراً كثيفاً وأسئلة لائبة في نفوسنا، أنشدت أبصارنا الى جهة الغرب حيث إتجهت الذئاب حتى بدت نقاطاً سوداً على جدار الأفق" (نفس المصدر: ٢٢). إن الذئاب رمز لفئة تعبت الشر في كل مكان وتسلط على الآخرين بحيل وتسلب الأمن منهم، وتزرع الفتنة.

٤. ٢ بناء الشخصيات الروائية

قد حظيت الشخصيات الروائية بمنزلة مهمة في الدراسات النقدية الحديثة؛ ذلك لأنها عنصر أساس يقوم عليها البناء الفني في الرواية، فهي المحور العام والرئيس الذي يتكفل بإبراز الحدث (يقطين، ٢٠٠٩: ٤٥٥). إن الشخصية الروائية قادرة

على غير ما لا يقدر عليه أيُّ عنصر آخر من المشكلات السردية، فقد رتحتها على تقمص الأدوار المختلفة التي يحملها الروائي ويجعلها في وضع ممتاز حقاً (مرتاض، ١٩٩٨م: صص ٧٧-٧٩)، وتتحدد شخصية الرواية - في الغالب - بالوظيفة التي تُؤكّل إليها. (نفس المصدر: ٨٧). فلذلك ركز العقابي في بناء أبطال رواياته على الوظيفة التي تُؤكّل إليها بطريقة تتميز فيها كل شخصية عن أخرى بإعطاء الشخصيات أدواراً رئيسية، وأخرى ثانوية ولكن بالمنزلة نفسها، وبالأهمية نفسها، وهذا ما يدل على مكانة هندسة الشخصيات في رواياته لدقته في اختيار هذه الشخصيات حسب أدوارها لتناسب الشخصية والوظيفة المُؤكّل إليها.

لجأ الروائي لإدخال شخصياته بكثرة وبسلوكيات مختلفة واعتقادات غير متشابهة ترضخ وتغير وتتقلب ضمن تغيرات مفاجئة غير محددة، كلها كانت آليات اعتمد الكاتب عليها عن طريق السخرية والتهكم، والتناقض والتشظي المفرط لتحقيق للرواية، ما عمد على إظهاره عن السلطة للقارئ، وفي هذا الإطار لم يستخدم الروائي بطلاً واحداً تقليدياً، كما هو المؤلف، وإنما قام بتوزيع الأدوار على شخصيات عديدة في النص كتميع الحدود بين سلطة الراوي وسلطة البطل وهذا أراد الكاتب بأن جميع شخوص المجتمع الراضحة تحت سلطة القمع للأنظمة السلطوية للحكومات هم جميعهم دون استثناء أبطال، يؤدون أدوارهم بوعي أو دون وعي، مستنفعين أو نافعين ضمن مجبوحه من التغيرات غير المستقرة للأوضاع السياسية. ومن هذه الشخصيات، شخصية «صالح الأعرج» الكردية في رواية «أقتفي أثري» فاسم "صالح" يهدي النفوس ويطمئن منه لكنه رغم هذا؛ إنّ لقبه "الأعرج" يوحي نوعاً من القلق والاضطراب و المجازفة:

- « أي وطن هذا؟ »

- نعم يا صالح الأعرج، أي وطن هذا ! الخروج منه مجازفة والدخول اليه مجازفة والعيش فيه مجازفة، البعد عنه مجازفة... (العقابي، ٢٠٠٩: ٥٢). فشخصية صالح الأعرج الذي هو شخصية كردية وبهذه التسمية يلهمنا بأن الفئة الكردية متصالحة مع باقي الفئات العراقية في خريطة جغرافية حقيقية. وهناك نماذج عديدة من هذا القبيل إذ يشرح لنا من خلال هذا الحوار الداخلي عن تاريخ العراق و التسمية تُعبر عن العراق آنذاك؛ حيث كان بلداً صالحاً؛ أي وضعه كان مستقراً و آمناً لكنّ في أركانه و بنيانه الأساسي قد كان أعرج، فأصبحت الظروف قاسية.

فالشخصية الروائية في روايتي أقتفي أثري والفئران في علاقتها بالواقع السلطوي، إما تنضوي تحت الفئة المهزومة الضائعة، وإما تنضوي تحت الفئة المنتمية إلى السلطة؛ فجاء التشكيل السردى لكلتا الشخصيتين نتيجة واقع السلطة الغاشمة.

٤. ٢. ١ الشخصية المهزومة

الشخصية المهزومة هي التي تعيش بداخلها الهزيمة (سفر، ٢٠٢٢م: ١). اجتهد العقابي بإكساب هذه الشخصيات المهزومة خصوصياتاً التي تميزها، حيث خصص لها ثيمات خاصة كالإنكسار والمهانة والسحق والتوبيخ والتأديب ليجعلها واقعية كما خطط لها الروائي.

إنّ التشكيل السردى للشخصية المهزومة في رواية الفئران يتكون من مرحلتين: مرحلة ما قبل تسلّم السيد القائد الملهم (صدام حسين) مقاليد الحكم، ففي هذه المرحلة لا يُطلق على الشخصيات المهزومة اسم وهي مجموعة من الناس تبدأ أحداث الرواية من لحظة اعتقالهم بطريقة عشوائية والنزج بهم في السجون تحت الأرض: "المسألة لم تكن إلقاء القبض على سياسيين معارضين، فالمعارضة كلمةٌ محذوفة من قاموس الحياة اليوميّة للمواطن منذ اعتلاء السيد الرئيس عرش الربويّة في وطنٍ كانت تتصارع فيه الملائكة والشياطين، كذلك الأمر لم يكن إلقاء القبض على جنود فارين من جبهات القتال، فالحرّب قد انتهت منذ ثلاث سنوات» (العقابي، ٢٠١٣م: ٦) ثمّ يكتشف على لسان القائد العسكري أنّهم وقعت عليهم القرعة كي يكونوا «فئران التجارب.. نعم.. نعم فئران التجارب» (نفس المصدر: ١١) لتجري عليهم «تجارب علمية لمعرفة طاقة البشر القصوى في تحمل المهانة» (نفس المصدر: ١٢). فعليهم إطاعة الأوامر في تطوير البحوث العلمية. فتجري عليهم تدريبات عسكرية في مكان بلا جهات، فالسماء سقف رملي و الهواء غبار خائق ولم يعد أحدهم يستطيع التمييز بين يمينه عن شماله. فلا اسم للشخصيات المهزومة، فالراوي حين ينسب فعلاً سردياً إلى شخصية من هذه المجموعة فيسميه بـ «أحدنا» أو «أحد منا» أو «أحد» أو «شيخ» أو «شاب». ليدل على طمس هوية الشخصيات بإرادة من السلطة الغاشمة لتحويلها فيما بعد إلى شخصيات مطيعة، منصاعة ومهزومة.

فنتهي هذه المرحلة باعتراف الشخصيات المهزومة بمسوخ هويتهم: "أطلق الشاب صرخته مرة أخرى فأيقظنا من حيرتنا وانتبهنا إلى ما سيقوله: "اسمعوا" ... قال بلهجة أمره مترفعة فلم يعترض أحد،

ها أنا أعلن لهم وبلا حجل ... وصرخ بصوت عالٍ:

"أنا حمار.. أنا حمار"

ثمّ وبصوت عالٍ جدا صرخ: أنا حمار حمار .. ثم ارتفع صوته بنهيق عال مقلدا صوت الحمار (الفئران، ٢٠١٣م:

١٧) فأحست الجماعة أنّهم ماتوا وهم في مقبرة جماعية (نفس المصدر: ١٩)

تبدأ المرحلة الثانية من تكوين الشخصيات المهزومة وكأنهم نُشروا من مقبرتهم الجماعية على صور حيوانات فمنهم من ينجح ومنهم من ينقع ومنهم من يزار ... فتظهر فتاة ببدلتها العسكرية، وكان اسمها ريم وهي «مسؤولة قسم إعادة الأذواق والتربية في مدرسة بناء الأجيال» (نفس المصدر: ٢٦) ومهمتها توزيع أسمائهم الجديدة لهوياتهم المسوخة، فعليهم نسيان أسماعهم القديمة التي لم تكن باختيارهم بل أجبروا على حملها «من قبل أبوين متخلفين ينتميان إلى الماضي السحيق وأما الأسماء الجديدة فهي من اختيار القيادة الحكيمة ... فشرعت بقراءة الأسماء:

• عبدالجبار عبدالله

• نعم

• اسمك الجديد هو الحمار ...

فطفت ضحكة من أحدنا ثم تواصل الضحك غير أن الأنسة ريم أشارت إلى زميلتها لكي تعجل بقراءة الأسماء: عباس

ناصر ... خرف؛ جابر مهدي .. عجل؛ عبدالرزاق حسون .. غراب؛ عبدالرحمن عبدالقادر .. زيب؛ نوزاد شفيق .. كر؛ جاسم علوان ... يربوع؛ قمر هاشم .. جحش. وهكذا رحنا نسمع أسماءنا الجديدة: ثور، بعير، بغل عتوي، جريدي، زرزور، فرد، خنفس، ... وأما أنا فقد صار اسمي "الواوي" «(نفس المصدر: ٢٧-٢٨). فهذه المجموعة برمتها ممسوخة بهويات جديدة، ضمن خطة محكمة بدأت منذ تسلم القائد الملهم (صدام حسين) مقاليد الحكم. فالسلطة نجحت في تجحيش الشعب! فشخصيات الرواية من مثقف وشاعر ومراسل من الفئة الشعبية كلها تتحول إلى حيوانات ممسوخة. إنَّ هذه التحول المسوخي لشخصيات الرواية جاءت نتيجة فقد الإنسان إرادته لأنه «حينما يفقد الإنسان إرادته تَهون عليه عزته ويكون من السهل عليه من أجل البقاء أن يمسخ نفسه فهو لا يشعر بتدرجات التحول والانحطاط» (نفس المصدر: ٦٩) تتغير الشخصيات وتتغير معها الأذواق ويصبح صوت الحمير أعذب الأصوات:

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنَّ أعذب الأصوات لصوت الحمير»

صدق الله العظيم

وطلبت من كل شخص منا أن ينهض خاشعاً ليردد الآية «الكريمة» بصوت عال» (نفس المصدر: ١٠٦) هذه السخرية السوداء جاءت نتيجة رفع الفوارق بين الإنسان والحيوان لتعطيل عقل الإنسان والسيطرة عليه بطرق مختلفة. لئلا يعرف غير الانصياع لأوامر الحاكم والرضوخ للوضع السيء وقبول المهانة. وأما في رواية "أقنفي أثري" فيعود الانهزام الداخلي للشخصيات الروائية عند العقابي إلى ما أقدمت عليه السلطة الغاشمة كالحرب العراقية الإيرانية التي شكلت، كظاهرة سلطوية منعطفاً فاصلاً في كينونة الفرد والمجتمع العراقي؛ إذ أدت إلى تغيرات بنوية عصفت بمنظومة القيم والعادات والتقاليد، فلم يعد العراقي نفسه الذي كان قبل الحرب، بل تحول إلى شخصية مهزومة فاتها العمر وعاشت المنفى بالوحدة وانتظار رسالة أو شخص ما يخبره عن أهله؛ وماحصل من أحداث سلطوية أخرى، ليسترجع بذاكرته كوايس الماضي وملاحقة رجال الأمن وسطوتهم التي عمّت البلاد وجعلته متشرداً متسكعاً بين الواقع والخيال، يعاني من الصراع النفسي الذي يفتك بالشخصية ويقطعها إرباً إرباً: «ليس المكان وحده موحشاً بل للوقت وحشة تنخر الروح».

" قبل لحظات كنت أشعر بفرح وغبطة بعد أن صارت خلفي كوايس الحرب وأيام التخفي والموت المتربص بي كل لحظة" " فلم الحزن إذن؟" (العقابي، ٢٠٠٩ م: ٣٩)

إنَّ الراوي يتكأ على تعابير صاحبة من وحي الروح المتأزمة المكبوتة من سجن إلى سجن، فيأتي بهذه الثيمات، كالوحشة، كوايس الحرب، الموت المتربص، فيسأل نفسه "لماذا الحزن إذن" أي إنَّه من شدة الضغط النفسي لا يوجد تعريفاً للحزن ولا يوجد مكانة له في نفسه حتى يحزن تُعبر عن شدة أوجاع شخصيتها المهزومة التي وقعت ضحية بيد السلطات والحكومات.

في رواية "أقنفي أثري" تقوم الشخصية الرئيسة بسرد الأحداث بضمير المتكلم فيقع على عاتقها مهمة تقديم الشخصيات، وسرد الأحداث، فيروي لنا حياته والأحداث المؤلمة التي شاهدها في العراق وفي إيران وسوريا والديمارك وحين عودته بعد سقوط التمثال. فهذه الشخصية باسم الكاتب الحقيقي «حميد بزون» تحمل خصائص الشخصية المهزومة كالإنكسار والشعور بالإذلال والمهانة وعدم الإكتراث وعدم الرغبة بملازمة الحياة. فيلازمه الكابوس (العقابي، ٢٠٠٩م: ١٧) وهو ضائع في الصحراء ينهش لحم روحه وغامت رؤيته (نفس المصدر: ٢٤) هو ومن معه من الدليل الذي يريد أن يهرب به وصديقه الكردي صالح كلهم يعانون من القلق والخوف. وكل شيء أمامه مغلق ومجهول (نفس المصدر: ٣٠ و ٣١) والألم رغم خروجه من العراق ينخر روحه (نفس المصدر: ٤٧) وكاد أن ينسى رجولته (نفس المصدر: ٤٩) وأحياناً «تخيلتني وقد تحولتُ إلى حروف مساقاً إلى المسلخ» (نفس المصدر: ٥٠) يتناجى مع نفسه «سر أيها الخروف إلى المسلخ طائعا لاتتمهل! لاتتغ! لاتتج! ولم تتج؟!» (نفس المصدر: ٥٥) ثم الغربة التي «لم تجد لها سلوى إلا بي فأدمنتني كما أدمنتها والطريق المجهول إلى أفق لا يستقر: يا أبي أنا لست إسماعيل أنا محض حروف أعجف» (نفس المصدر: ٦٩) وفي الغربة يصغي إلى الموت كل ليلة فأصبحت بلا جسد وبلا رغبة وبلا إرادة وحتى نسي من هو:

• «بأنك أدن»

• من أنا؟ (نفس المصدر: ٨٩)

ورغم عودته إلى الوطن يعتبر بلده مقبرة جماعية (نفس المصدر: ١٨٠). كل هذه المقتطفات من رواية أقنفي أثري تدل على أنّ الراوي يعيش هزيمة نكراء وانكساراً فظيعاً. فمسير شخصيات الرواية المهزومة، نساءً ورجالاً، إلى الإنكسار، «مارينا» كشخصية رئيسة من بين الشخصيات التي كان لها حضور واضح و متميز، لعبت دوراً كبيراً في مجرى السرد، فكانت ضمن المجموعة التي قررت العودة إلى العراق عن طريق الصحراء، إلا أن الذئاب أحاطت بهم مادفع مارينا للجوء إلى حميد (شخصية السارد)، فظن السارد أنها مسيحية ولكنها أقسمت بأغلظ الأيمان بأنها كانت مسلمة وأنها غيرت اسمها في الوثائق الدماركية (نفس المصدر: ٨٥) فهي تعتقد أنها ولدت منفيّاً في جسدها و«هل تعرف ماذا يكون الإنسان منفيّاً في جسده .. فقد وُلدت منفيّاً في جسدي و لم أرحل من وطن إلى منفي بل من ذكورة منفيّاً إلى أنوثة غربي ..» (نفس المصدر: ١٥٦ - ١٥٧) وفي هذا إشارة إلى عملية تغيير الجنس والتي أجريت عليها في الدمارك، وحين تسقط المجموعة في أسر جنود أميركان، تتفاهم الأزمة: «كنت أسمع مارينا تتوسل وسط ضحك الجنود وكلماتهم البديهة، تخليتها غزلاً جريماً تدور حوله الضباع ناهشة أضلاعه الطرية .. فتذكرت العبارة التي كانت مارينا ترددها أمس بحزن: جسدي مواطن مخطئين ولا جيئن من التشرذم للتشرذم» (م.ن: ١٧٣) هذه هي صورة محزنة لشخصية مهزومة تماماً، جسدياً وروحياً.

ثم شخصية «علي كارته» ونهايتها المفجعة التي سببت في ذهن السارد وإبلاً من الأسئلة ويخاطبه قائلاً: نعم يا علي مأساتنا في أننا أدمنا الحرب، كأننا في سباق لانهاية، ونذكر منذ البدء بأن المضمار مراوغ وأنا خاسرون... نلتقي في حانة الغراء ونعب كؤوس السم وننتظر موتنا.... الخوف يتربص بنا .. ونفخر بالحزن، و كان موت علي كارته بهذه الطريقة

العابثة آثار أسئلة لاتقدر النفس على كتمانها...» (نفس المصدر: ١٢١ - ١٢٣). وشخصية أجد صافي الذي يعاني من الشذوذ الجنسي، وشخصية «أبو عبد الصمد» الذي نصّب نفسه قائداً مُدلقاً علينا بلغة الوعظ والإرشاد وأوامره التي تقبلناها بطاعةٍ تستيقظ فينا كلما توهنا ضباباً قادمًا إلينا، وقد كُنّا بحاجةٍ إلى من ينصّب نفسه قائداً أو ممثلاً عنا كي نحافظ على خط سير القطيع، فالذئب يفترس النعجة المتخلفة" (نفس المصدر: ٧٥) ثم يبين الراوي بعض صفات هذا الشخصية وعلاقته مع الله: "كان أبو عبد الصمد يقضي نهاره في حركة دائبة كأنه يحسب الدقائق بغريزة تاجر لا يريد لدقيقة من حياته أن تهدر دونما كسب صفقة يعقدها مع الله. يتعامل مع الرب كمرابٍ، فهو لا يبولُ على يد مجروح إن لم يتأكد من أن هذا المجروح من المؤمنين العابدين المصلين على الطريقة التي آمن هو بها" (نفس المصدر: ٦٤) فأبو عبد الصمد، أو أبو علي الطنظل هو الذي يعرف أسماء الشهداء وشارك في معارك كثيرة شاكياً عن الخيانات والمساومات التي تمت بين قادة الأحزاب المتقاتلة.. لكنه نادراً ما يخوض في نقاش سياسي. مرات عديدة وجدده الراوي منزوياً يبكي وحين سأله عن سبب بكائه يلقي اللوم على الغربة والسلطة الطاغية وأحزاب المعارضة المهترئة «فأري العثة تنزل من قمة رأسه حتى قدميه... و أتيقن من صدقه في تواضع أمنيته التي تدفعه لأن يتخلى عن كرامته و إنسانيته ليتحول إلى حصان هرم أو ثور ميت على تبن زريبة أو إصطبل (نفس المصدر: ٧٩)

فتكوّن الشخصية المهزومة البنية الفاعلية في روايتي أقتفي أثري والفقران، وللسلطة الطاغية أثر بالغ الأهمية في تشكيلها السردية حيث تطغي الشخصية المهزومة في هاتين الروايتين.

٤. ٢. ٢. الشخصية السلطوية

الشخصيات المنتمية للسلطة هي شخصيات، رغم قلة عددها، تهيمن على الرواية وتعمل كأجهزة قمعية للسلطة الطاغية. تنساق هذه الشخصيات المنتمية للسلطة باعتبارها تعمل على الاستعانة بالنزعات السلطوية للمؤسسات السياسية، حيث إنها تتأطر وتتشكل ضمن مآربها الاستغلالية في ظل تلك الأنظمة، من أجل أن تحقق مصالح ورغبات فردية جامحة، لكسب المزيد من المنافع الشخصية أي اغتنام الفرص المتاحة لها باعتبارها شخصية تدرك بأن الإنضواء تحت مقولات السلطة هو السبيل الوحيد لتكوين ثروة دون عناء ومجهود مضني يبذل.

فالرواية "هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث، وقد تكون الشخصية من الحيوان، فيستخدم عندئذٍ كرمز يكشف عما وراءه من شخصية إنسانية تهدف من وراءها العبرة والموعظة، كما في "كليلة ودمنة والقصص التعليمية الأخرى". (مريدن، ١٩٧٠م: ٢٧). فالشخصية السلطوية الرئيسة المهيمنة في رواية الفقران شخصية «السيد الرئيس» التي يرمز بها الراوي إلى السلطة الطاغية التي تحاول إخضاع الشعب. فالسيد الرئيس «منذ اعتلائه عرش الربوبية.. لم يبق من شيطان أو ملاك إلا وتجده ساجداً مُسبّحاً لمجد السيد الرئيس على الأرض» (العقاي، ٢٠١٣م: ٦) وبلغته الكريمة أقيم للشهداء نصب تذكاري وتم توزيع أعضاء بلاستيكية مصنوعة في أفخر معامل الغرب للمعوقين.... و جعل تاريخ ميلاده عطلة رسمية ويوماً

للفرح .. (نفس المصدر: ٧-٨) فهذه الشخصية الفذة ألقاب كثيرة ومن أكثرها تكراراً « القائد المهلم » الذي يفاجئ المواطنين بزيارات إلى بيوتهم ويعلمهم طريقة الأكل ويديه مقاليد الحكم المطلقة (نفس المصدر: ١٥) و«قائدا فذا» استطاع بفكره الثاقب وارادته القوية ونبوغه المتميز أن يقود أمتنا المتميزة.. و «قائدنا المفدي» (نفس المصدر: ٢٤) فالراوي يصف سطوة السيد الرئيس بأن السائر إلى منشقة الإعدام لا يجزؤ على شتم القائد خوفاً على أعشار الثانية المتبقية من حياته ... الشعر كله للقائد والغناء كله للحبيب القائد والقصص والروايات كلها بطلها واحد وهو السيد القائد .. المطر لا يهطل إلا باذن القائد والزرع لا ينبت إلا من أجل القائد والشمس لا تشرق إلا إنعكاساً من وجه القائد ... كل شيء من أجل القائد» (نفس المصدر: ٣٧). ثم كل الأفعال بإيعاز من القائد: القائد يقول قفوا!؛ وقفنا متسمرين؛ القائد يقول: تحركوا! تحركنا؛ القائد يقول: ابركوا ! بركننا؛ القائد يقول: انبحوا! .. القائد يقول انهقوا! القائد يقول ... نبحنا، نحقنا فعلنا ما قاله القائد دونما اعتراض» (نفس المصدر: ١١٣) هكذا هي الشخصية السلطوية المهيمنة التي هو أصبح إلها في الأرض:

«قال أحدهم: «الله كريم» وكاد يكمل جملته حتى تعلمت وارتبك .. فراح يتمتم محاولاً تصحيح الخطأ:

أقصد لانيأس من رحمة القائد.. فالسيد الرئيس كريم...» (نفس المصدر: ١٣٢)

تشكلت الشخصيات المتمتعة للسلطة في رواية الفئران، كلها من العسكريين وتجري أحداث الرواية في المعسكرات؛ لأنّ الرواية تعالج الظروف السياسية المضطربة بسبب الانقلابات العسكرية التي شاهدها تاريخ العراق الحديث وأدت إلى إبراز شخصيات تكونت لتكون خادمة وداعمة لمصالح السلطة وسياساتها. فهذه الشخصيات الروائية إما «رئيس عرفاء بملاح بدوية وعينين مظموسطين» أو «ضابط برتبة رائد أو عقيد لم أعد أتذكر وهو يهز هراوته جالدا الهواء» فيتبعه رئيس العرفاء ككلب مطيع (نفس المصدر: ١٠-١٢) أو مجموعة من رجال غلاظ بزّي عسكري، أو جندي أو عريف أو جنرال ضخم الجثة بزّي عسكري يلمع على كتفيه صفان من النجوم الذهبية وعلي صدره أوسمة ونياشين (نفس المصدر: ٢١-٢٣) حتى شخصيتا «ريم و غزالة»، المرأتان المتميتان للسلطة، عسكريتان: «وقع نظري على الفتاتين اللتين تقفان جانب العرش فوجدتهما في وضع الاستعداد... في قميص خاكي (نفس المصدر: ٢٣) و «تقدمت إحدى الفتاتين بانحائها بعد أن أسندت رشاشتها إلى الجدار الأمامي ... وهي تحرك سلسالاً ذهبياً تدلت منه صورة السيد القائد...» (نفس المصدر: ٢٦) فريم شخصية عسكرية مسؤولة عن تربية الأذواق، ومهمتها توزيع الأسماء الجديدة التي تتحكم الشخصيات المهزومة بمساعدة مساعدتها غزالة والشخصيات يتم نداءها بأسماء الحيوانات: جحش .. خفاش .. ثور .. زيب .. دب .. بعير .. (نفس المصدر: ٨٤) ففي هذا الجو العسكري الخائف يحسب طلب الموت رمية بالرصاص جراً: «حتى تجرأ أحدنا وطلب من السيد الجنرال متوسلاً بإصدار أمره بإطلاق الرصاص علينا» (نفس المصدر: ١١). ووفقاً لدراسة رواية الفئران، فإنّ الراوي جاء بهذه الشخصيات وصّبّها بين ملتويات البنية السردية لتصور دورها في تنظيم السلطة وفق معاييرها: «بينكم رجال أبدو تفوقاً ما كنا نتوقعه من طاعة وخشوع وقد تم تكريمهم بتنصيبهم بأرفع المناصب في الدولة» (نفس المصدر: ٨٨). لقد أفصح هذا النص بدلالة الفعل عن سمة شكّلت جانباً من شخصياتهم تفوقاً بسلوكهم وأفعالهم،

ليبتوا طاعتهم وخشوعهم كما روى الراوي عبر خطاب العريف، وتكريماً لجهودهم وتسليمهم للإذلال والانتماء القهري أو الإختياري، كما يجد البحث الثيمات مكتملة لهذه الشخصيات المنتمية مثل: الطاعة والخشوع و التسليم السريع وحصدهم التكريمات. وقد أبرع الراوي عبر هذه الخطابات أن يقوم بدلالة دقيقة لهذه الشخصيات في مجتمعه آنذاك: «وارتفعت نسبة الأمل خاصة بعد أن علمنا أو ظننا بأن الذين اختفوا من بيننا لم يعدوا كما كان الظن سائداً من قبل، بل إنهم الآن يتقلدون مناصب رفيعة في الدولة.» (نفس المصدر: ٨٩). وقد استخدم الراوي هذا التعبير والتوضيح بعد الاختفاء السريع والمكر لبعض الأشخاص بصورة مبهمه ظناً منهم أنهم لاقوا حتفهم، ولكن رغم الخيبة الموجودة التي تدل على التسليم أمام متطلبات السلطة والأوامر وتحمل المهانة والإذلال بما يكفي من الوقت، إنما صار لديهم بصيص أمل بأن من يرضخ ويطأطأ رأسه فقد نجح نجاة لا مثيل لها بتكريمه وتقلده بمناصب رفيعة. رغم أن الكاتب أراد السخرية من الأمر وتلفيقه مع مرارة الوضع؛ فراح يدخل كلمة أو لفظ أمل في وصفه، موضحاً للقارئ عكس مضمون الكلمة وهو أن لا أمل ولا حياة بعد سحق الكرامة والعزة مقابل المناصب والترفيعات وهذا ما استخدمه الكاتب عن طريق وصف الراوي (واوي) حيث أنه يرسم الموقف، خير رسم بقوله أن كل ما أنزلوا علينا الكثير والكثير من المصائب والأحوال والأوجاع النفسية على الخصوص، صار من السهل الرضوخ والاستسلام للسلس للهروب والخروج من الزنانات.

وفي الحقيقة يريد الكاتب تصوير حياته كما يقال: "إن الكاتب المحدث لا يهمل القارئ ولكنه يطالب بالضرورة المطلقة لأن يساهم القارئ مساهمة فعالة واعية بل خلاقية. إنَّ ما يطلبه المؤلف من القارئ ليس استقبال عالم كامل ممتلئ مغلق على نفسه، بل على العكس إنه يسأله أن يساهم في عملية الخلق وأن يخترع بدوره العمل الذي يقرأ العالم أيضاً. وأن يتعلم بهذه الطريقة أن يخلق حياته هو. (روب جرييه، ١٩٨٠م: ١٣٨) والروائي يقول: «على الرغم من أن البرجوازية الصغيرة تفرز أنظمة دكتاتورية وبونابرتية بأجهزة مخابرات قمعية.. إلا أنه ينبغي علينا الإقرار بأن حرية البلد هي الأولى... وأن البلدان النامية أو ما يسمى زيفاً ببلدان العالم الثالث في المنعطفات التاريخية تحتاج إلى أنظمة قوية وزعيم شجاع يقود شعبه نحو التحضر والتمدن وفي الوقت نفسه يهيئ الجيش لصد هجمات القوى الطامعة بخيرات البلد.» (العقابي، ٢٠١٣م: ٩٣). لقد كشفت دلالة أفعال الشخصيات عن ما آلت إليه الشخصية (الفهد)، الفرد المثقف من المجتمع العراقي الذي كان يثرثر للسجناء حول الحريات والمقاومة أمام ظلم الظالم وعدم الرضوخ لخطئه المشينة والوضيعة.

وأما في رواية أقتني أثري فيشير الراوي إلى الشخصيات المنتمية للسلطة بـ«الذئاب» التي لم تكن دائرتها ضيقة «إلا أن مجرد الشعور بأننا محاصرون بدائرة من ذئاب كاف أن يجعل الهدوء ينفر من نفوسنا كيف لنا أن نتق بذئاب جُبلت على الافتراس و أن بدت وبيعة وكيف لنا أن نضمن أنها لن تتغير بعد قليل وتعود إلى طبيعتها الذئبية» (العقابي، ٢٠٠٩م: ١٧) والشخصيات المهزومة تري كابوس الذئاب تطبق حصارها حولها (نفس المصدر: ١٨) وحينما تلوح أول خيط أبيض في السماء تنهض الذئاب بتناقل. فالنص التالي يصف للقارئ ذهاب الذئاب في صورة سردية رمزية: «مع نزول عصا المايسترو غير المرئية توقفت الذئاب، ودارت لنا ظهورها وتجمعت بكردوس منتظم ثم انطلقت مخلّفة وراءها غباراً كثيفاً وأسئلة لائبة في

نفوسنا. انشدت أبصارنا إلى جهة الغرب حيث أجهت الذئاب حتى بدت نقاطاً سوداً على الجدار، نقاطاً ستبقي بالتأكيد على لوحة الذاكرة إلى أمد بعيد وربما إلى أفق النهاية» (نفس المصدر: ٢٢) فهذه الصورة السردية رمز للسلطة العاشمة التي سقطت وولي عهدها ويسقوطها؛ وبالتالي حاولت مجموعة من الشخصيات المهزومة العودة إلى وطنهم.

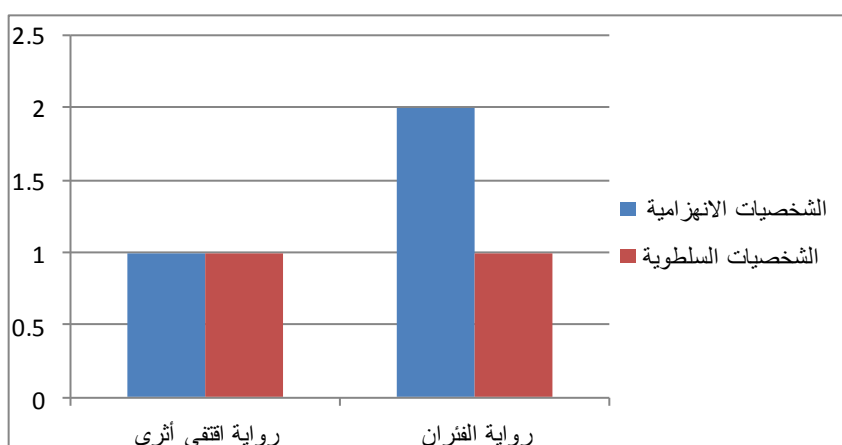
النتائج

توصل البحث إلى نتائج عدة أهمها:

- أن الصورة السردية لخطاب السلطة الشاملة في روايتي أقتفي أثري والفئران تدل على واقع السلطة التي تتميز بالهمنة العسكرية وأثرها على بنية المجتمع العراقي. فالخوف المسيطر من السلطة ترسخ في القلوب وأجبر المواطن على الصمت المرير خوفاً من عقاب السلطة، أو التشرذم في الغربة، والشعور بالضياع النفسي والموت كنتيجة محتومة للسلطة دون بصيص أمل.

- أن البنية الفاعلية في روايتي "أقتفي أثري" و"الفئران" متأثرة في تشكيلها السردية بخطاب السلطة. فالشخصيات الروائية في الروايتين، إما شخصيات مهزومة تعاني أزمات مختلفة بسبب استبداد السلطة وفاعلية أجهزتها القمعية؛ وإما شخصيات سلطوية تعمل كأهم أداة مؤثرة في إكمال المشاريع القمعية للسلطة، فتأخذ هذه الشخصيات موقعاً مستعالياً ممارسة العنف بأنواعها الجسدي لسحق الشخصيات المهزومة. وللسلطة الطاغية أثر بالغ الأهمية في تشكيلهما السردية، وتطغي الشخصية المهزومة في هاتين الروايتين. يتبين من خلال الرسم البياني التالي نسبة الشخصيات المنهزمة والسلطوية في كل من روايتي "أقتفي أثري" و"الفئران".

الرسم البياني: نسبة الشخصيات المنهزمة والسلطوية في كل من الروايتين: أقتفي أثري والفئران:



- أن التشكيل السردية للشخصية المهزومة في رواية الفئران يدل على طمس هوية الشخصيات بإرادة من السلطة

الغاشمة أولاً وتحويلها فيما بعد إلى شخصيات ممسوخة مطيعة ثانياً. فتتحول هذه الشخصيات من مثقف وشاعر ومراسل من الفئة الشعبية إلى حيوانات ممسوخة بمسمياتها: الحمار، والدب، والجحش... نتيجة فقد الشخصيات المهزومة إرادتها في تقرير مصيرها.

- أنّ الشخصيات المنتمية للسلطة، رغم قلة عددها، تهمين على الروائتين، خاصة في رواية الفئران وتعمل بوصفها أجهزة قمعية، على استعانة النزعات السلطوية للمؤسسات السياسية، لتحقيق رغباتها الفردية الجاحمة، فتتغنى الفرص المتاحة لها باعتبارها شخصية تدرك بأن الإنضواء تحت مقولات السلطة هو السبيل الوحيد لتكوين ثروة دون عناء ومجهود مضيئ يبذل.

- فالشخصية السلطوية الرئيسة المهيمنة في رواية الفئران شخصية «السيد الرئيس» التي يرمز بها الراوي إلى السلطة الطاغية التي تحاول إخضاع الشعب، فيتدخل في كل شؤون الشعب من طعامهم ومبلسهم ومشرهم. والكل يسجد للسيد الرئيس ويسحبه، فلا تقع واقعة إلا باذنه أو بإيعاز منه ولأجله. فتحوّلت شخصية القائد إلى شخصية تحظى بمقام الألوهية.

- تشكلت الشخصيات المنتمية للسلطة في رواية الفئران، كلها من العسكريين تقع حوادث الرواية في الأمكنة العسكرية، لأن الرواية تعالج ظروف السياسة المضطربة بسبب الانقلابات العسكرية التي شاهدها تاريخ العراق الحديث وأدت إلى إبراز شخصيات تكونت لتكون خادمة وداعمة لمصالح السلطة وسياساتها. فهذه الشخصيات الروائية إما جندي، أو عريف، أو رئيس العرفاء، أو ضابط برتبة رائد أو عقيد، أو مجموعة من رجال غلاظ بزّي عسكري، أو جنرال ضخم الجثة بزّي عسكري.

المصادر

- ابراهيم، سلام (٢٠١٩). أصغي الى رمادي؛ الذات حينما تدمرها الطفولة والحرب، من مجموعة وشم النوارس، بغداد، دار القناديل، صص ٤٣-٥٠.
- اسكاف، حسين (٢٠٠٨م). حميد العقابي حين يورج لجيل الخيبات والحروب، من مجموعة وشم النوارس، بغداد، دار القناديل، صص ٦٨-٧٢.
- اميريان، طيبة؛ اميري، جهانگیر (١٤٤٤هـ). المستويات المؤثرة لألف ليلة وليلة في "سلاف بغداد" لمحسن جاسم الموسوي. مجلة دراسات في السردانية العربية، المجلد ٢، العدد ٣، صص ١-٣٠.
- باختين، ميخائيل (١٩٨٦م). قضايا الفن الإبداعي عند دوستويفسكي، ترجمة جميل التكريتي، الطبعة الاولى. بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
- _____ (١٩٨٧م). الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، الطبعة الاولى. القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع .

- بغورة، الزواوي (٢٠٠٥ م). الفلسفة واللغة، نقد «المنعطف اللغوي» في الفلسفة المعاصرة، الطبعة الأولى، بيروت، دارالطليعة.
- حندري، ابراهيم (٢٠١٢ م). الرواية والتناص، العراق، مركز العميد للبحوث والدراسات، مجلد ١، عدد ١-٢.
- الرزوق، صالح (٢٠١٩ م). الواقع والخيال في رواية (القلادة)، من مجموعة وشم النوارس، بغداد، دار القناديل، صص ٥٠-٦٧.
- روب جرييه، آلان (١٩٨٠ م). نحو رواية جديدة، ترجمة، مصطفى ابراهيم مصطفى، الطبعة الأولى، مصر، دار المعارف.
- سفر، بسام (٢٠٢٢ م). نماذج من الشخصيات المهزومة في الدراما السورية، موقع الحل نت:
• <https://7al.net/2022/10/11/bassam-s/culture/> نماذج-من-الشخصيات-المهزومة-في-الدراما-السورية
- السعران، محمود (١٩٦٣ م). اللغة والمجتمع، الطبعة الثانية، مصر، دار المعارف.
- الطعان، صبحي (١٩٩٤ م). بنية النص الكبرى، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد ١-٢، صص ٤٣١-٤٥٤.
- عبد اللطيف، مازن (٢٠١٩ م). وشم النورس حياة مستعادة لحميد العقابي، قراءات - شهادات - مواقف - مجموعة شعرية جديدة، بغداد، دار قناديل.
- عبيد، محمد صابر (٢٠١١ م). التشكيل السردى المصطلح و الإجراءات، دمشق، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع.
- العقابي، حميد (٢٠٠٩ م). أقتضي أثري، لندن، طوى للثقافة والنشر والاعلام.
- ——— (٢٠١٣ م)، الفئران، بغداد، بيروت، منشوات الجمل.
- العيد، يمى (١٩٨٦ م). الموقع والشكل دراسة في السرد الروائي، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.
- فواز، نجاة (٢٠١٢ م). الضلع؛ رواية تصير مسافة بين الوطن والمنفى، موقع المفتاح 07-29-2012
<https://almooftah.com/vb/showthread.php?t=26451>
- فوكو، مشيل (٢٠٠٧ م). جنيلوجيا المعرفة، ترجمة أحمد السطاطي وعبد السلام بنعبد العالي، الطبعة الثانية، دارالبيضاء، دار توبقال للنشر.
- كاظم، أسماء محمد؛ عباس، درويش خضير (٢٠٢٠ م). "جمالية العتبات في روايات حميد العقابي"، جامعة بغداد، مجلة الآداب، عدد ١٣٤، صص ٣٧-٥٨.
- كاظم، سالم جمعة (٢٠١٨ م) مستويات الأداء اللغوي في رواية الضلع لحميد العقابي، العراق، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية (٣٢)، صص ٣٨٤-٣٣٥.



- الكندي، علي (٢٠٢٠م). سلطة النص وفضاء الخطاب، 31/05/2020
<https://www.alfalq.com/?p=12070>
- مرتاض، عبدالملك. (١٩٩٨م). في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، المجلس الاعلي للثقافة الفنون.
- مريدن، عزيزة (١٩٨٠م). القصة والرواية، بيروت، دار الفكر المعاصر، .
- مطر، هشام (٢٠١٩م). القلادة حادثة النص بين الإسقاط والتناص والتأويل، من مجموعة وشم النوارس، بغداد، دار القناديل، صص ٧٣-١٢٥.
- ناصر، كريم (٢٠٠٨م) الضلع - رواية التأويل وأصل المتغيرات والمتضادات، موقع إيلاف
<https://elaph.com/Web/Culture/2008/3/316457.htm>
- نوماس محمد المدني كريمة (١٤٤٢هـ). دراسة أسلوبية لعناصر السرد والعنف في الرواية العراقية المعاصرة؛ رواية خان الشابندر محمد حياوي اختيارا. دراسات في السردانية العربية جامعة الخوارزمي الإيرانية. ١٤٤٢؛ ١ (٢): ٣٠١-٣١٨.

References:

- Ibrahim, Salam (2019), " Asghi ela ramadi ".the self when it is destroyed by childhood and war, from the collection of Washem Alnawaris, Baghdad, Dar Al Qandil, pp. 43-50
- Askaf, Hussain, (2008) Hamid Al-Aqabi, when he comforts the generation of disappointments and wars, from the collection of Washem Alnawaris, Baghdad, Dar Al-Qandil, pp. 68-72.
- Amirian,T.Amiri,J(2022) The Influential Levels of “The Thousand and one Nights” in “Soulaf Baghdad” Jassim al-Mousawi. San 2022,3(2) 1-30
- Bakhtin, Mikhail, (1986), Creative Art Issues at Dostoevsky, translated by Jamil Al-Tikriti, Baghdad, General Cultural Affairs House, first edition.
- Bakhtin Mikhail, (1987) Fictional Discourse, Translated by: Mohamed Barrada, Cairo, Dar Al-Fikr for Studies, Publishing and Distribution, first edition.
- Bghoura Al-Zawawi (2005), Philosophy and Language, Criticizing the “Linguistic Turn” in Contemporary Philosophy, Beirut, Dar Al-Tali'ah, First Edition.



- Jandari, Ibrahim (2012) The Novel and Intertextuality, Iraq, Al-Ameed Center for Research and Studies, Volume 1, Numbers 1-2.
- Al-Razuq, Salih (2019) Reality and Fiction in the Novel (The Necklace) from the collection of Washam Alnawaris, Baghdad, Dar Al-Qandil, pp. 50-67.
- Rob Jerbih, Alan (1980) Towards a New Novel, translation, Mustafa Ibrahim Mustafa, Egypt, Dar Al-Maari, first edition.
- Bassam's Travel (2022), models of defeated characters in the Syrian drama, Al-Hal Net website:
- <https://7al.net/2022/10/11/نماذج-من-الشخصيات-المهزومة-في-الدراما-بassam-s/culture/>
- Al-Saran Mahmoud (1963) Language and Society, Egypt, Dar Al-Maarif, second edition. -Al-Ta'an Subhi (1994) The Great Structure of the Text, Kuwait, Alam Al-Fikr Magazine, Issue 1-2, pp. 431-454
- Abdul Latif Mazen (2019) Washam Alnawaris, A Restored Life by Hamid Al-Aqabi, Readings - Testimonies - Positions - A New Poetry Collection Baghdad, Dar Qandil, first edition.
- Obaid Muhammad Saber (2011) Narrative Formation, Term And Procedure, Damascus, Dar Nianawa, first edition.
- Al-Aqabi, Hamid (2009), "Aqtafi 'athari", London, Tawa for Culture, Publishing and Media, first edition.
- Al-Aqabi, Hamid, (2013) "Alfiran", Baghdad, Beirut, Manshawt Al-Jamal, first edition
- Eid, Yemeni (1986), location and form, a study in the narrative narrative, Beirut, Arab Research Foundation, first edition.
- Fawaz, Najat (2012) Al-Dhalea "A Novel Becomes a Distance Between Homeland and Exile", Al-Muftah Website

- <https://almooftah.com/vb/showthread.php?t=26451>
- Foucault, Michel (2007) *The Genealogy of Knowledge*, translated by Ahmed El Satati and Abdel Salam Ben Abdel Ali, Dar Al Baida, Dar Toubkal Publishing, second edition.
- Kazem, Asma Muhammad; Abbas, Darwish Khudair (2020) "The Aesthetic of Thresholds in the Novels of Hamid Al-Aqabi", *University of Baghdad Journal of Arts* No. 134, pp. 37-58.
- Kazem, Salem Juma (2018) "Levels of Linguistic Performance in Hamid Al-Aqabi's Novel Al-Dhale'a", *Iraq, Lark for Philosophy, Linguistics and Social Sciences* (32)1, pp. 384-335.
- Al-Kindi, Ali (2020) *The authority of the text and the space of discourse*, 05/31/2020
- <https://www.alfalq.com/?p=12070>
- Murtada, Abdul Malik (1998) *In the theory of the novel: research in narration techniques*, Kuwait, Supreme Council for Arts and Culture, first edition.
- Mariden, Aziza (1980), *The Story and the Novel*, Beirut, Dar Al-Fikr Al-Moasr, first edition.
- Matar, Hisham (2019) *The necklace is the modernity of the text between projection, intertextuality and interpretation, from the group Washam Alnawaris*, Baghdad, Dar Al Qandil, pp. 125-73.
- Nasser, Karim (2008), *Al-Dalaa - The Novel of Interpretation and the Origin of Variables and Antonyms*, Elap
- Nomas Muhammad Al- Madani K(2020) *Narrative Stylistics in contemporary Iraqi Novels: The Case of Khan Al-Shabandar*, *san2020*,1(2): 301-318



تأثیر گفتمان اقتدار بر شکل‌گیری ساختار کنشگری در دو رمان "به دنبال خودم می‌روم" و "موش‌ها" از حمید عقابی

علاء فلیح حسن زهیری^۱، فرامرز میرزائی^{۲*}، هادی نظری منظم^۳، کبری روشن فکر^۴

چکیده

گفتمان مجموعه گفتاری است که انواع رفتار را شکل می‌دهد و بر زندگی اجتماعی، به‌گونه مثبت یا منفی، تأثیر می‌گذارد. بنابراین گفتمان اقتدار و قدرت بر همه ابعاد سیاسی، فرهنگی، اقتصادی و روحی نفوذ می‌کند؛ در نتیجه نمی‌توان داستان را، که بازنمایی واقعیت‌های جامعه است، بدون گفتمان اقتدار تحلیل کرد. گفتمان اقتدار در داستان‌های حمید عقابی، داستان نویس عراقی، به ویژه در شکل‌گیری زیرساخت کنشگری (شخصیت) حضور پررنگی دارد. شخصیت‌های داستانی متأثر از این گفتمان مسلط شکل گرفته‌اند. این پژوهش می‌کوشد با شیوه توصیفی-تحلیلی و با کمک ساختارگرایی زایشی، به عنوان شیوه تحلیل روایتی، مهمترین ویژگی‌های اقتدار و چگونگی تأثیر پذیری شخصیت‌های گوناگون داستانی را از گفتمان اقتدار در رمان‌های حمید عقابی، نشان دهد. جامعه آماری این پژوهش دو داستان: به دنبال خودم می‌روم (اقتفی اثری) و موش‌ها (الفئران) است، زیرا این دو داستان به بازنمایی گفتمان قدرت و پیامدهای آن پرداخته‌اند. با جمع‌آوری داده‌ها و تفسیر و تحلیل کیفی آنها، این مقاله به این نتیجه رسید که گفتمان قدرت در این دو اثر داستانی، با نفوذ در همه لایه‌های زندگی، رفتار و سرشت شخصیت‌های داستانی را به دو شکل شخصیت‌های سرخورده و شخصیت‌های وابسته به قدرت، شکل داده است. شخصیت‌های سرخورده در داستان حضور و کنش بیشتری دارد و شخصیت‌های وابسته به قدرت، علی‌رغم کمی تعدادشان، عامل اساسی ظهور و چیرگی گفتمان قدرت هستند. هر دو گونه شخصیت سرخورده و وابسته تحت تأثیر منفی گفتمان قدرت از بحران‌های هویت، دوگانگی و فشار روانی شدیدی رنج می‌برند.

واژگان کلیدی: گفتمان اقتدار؛ شخصیت داستانی، حمید عقابی، اقتفی اثری، الفئران

تاریخ پذیرش: ۱۴۰۲/۵/۳۰

تاریخ دریافت: ۱۴۰۲/۰۳/۲۹

دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه خوارزمی و انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی

تابستان ۱۴۰۲، دوره ۴، شماره ۹، صص. ۷۹-۱۰۴

^۱ دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، رایانامه: af.hasan@modares.ac.ir

^۲ نویسنده مسؤل، استاد گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، رایانامه: f_mirzaei@modares.ac.ir

^۳ دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، رایانامه: hadi.nazari@modares.ac.ir

^۴ استاد گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، رایانامه: kroschan@modares.ac.ir

